



لم توفر الواقع الأقرب للتيار المحافظ، وخاصة الحرس الثوري فرصة التصريحات التي أطلقها زعيم الإيراني هاشمي رفسنجاني حول سب الصحابة، فقد اتخذتها ذريعة لشن هجوم عليه؛ بعضها يعبر عن موقف سلبي كامن من الرجل الذي يمثل رأس التيار الإصلاحي في البلاد، والذي يجد أن فرصته في العودة إلى صدارة المشهد السياسي تقترب؛ ليس عبر رئاسة منزوعة الأسنان، بل من خلال السلطة الحقيقة التي يمثلها المرشد، وخاصة بعد تولي الأنباء عن مرضه.

الذى لا شك فيه أن تصريحات رفسنجاني كانت لافتة من زعيم بهذا المستوى، ذهب يندد بمنهج سب الصحابة، الذى اعتبره سبباً في ظهور تنظيم الدولة.

من المؤكد أن توصيف القضية على هذا النحو ليس صائباً من الزاوية العملية والواقعية، لأن ردود الفعل المسلحة من قبل قطاع من السنة ضد إيران وتحالفها ليس وليد سب الصحابة، رغم ما يشكله من استفزاز دائم، بل هو رد على العدوان الغاشم في سوريا، ودعم السياسات الطائفية في العراق، قبل أن يكتمل مشهد العدوان على نحو أكثر وضوحاً في اليمن، بسيطرة الحوثيين على البلد بالقوة المسلحة عبر تحالف مع المخلوع الذي ثار اليمنيون ضد دكتاتوريته وفساده.

لكن خطأ التوصيف لا يلغي أن الرجل كان يبعث برسالة مصالحة إلى المحيط الإسلامي (ربح بها الشيخ القرضاوي)، وهي رسالة ترجمتها من قبل أيضاً عبر رسالته الودية إلى العاهل السعودي بخصوص الحكم على رجل الدين الشيعي نمر النمر، خلافاً لمسلسل التهديدات الذي أطلقه رموز المحافظين طوال الأسابيع التي تلت الحكم، والتي انطوت على الكثير من الغطرسة والاستفزاز.

رسننجاني أضاف إلى توصيفه الآتف الذكر كلاماً وحدوياً في منتهى الأهمية يعبر عن سعة أفق لا تخطئها العين، ولا قيمة هنا للحديث عن «التأقية»، لأن المواقف تحدد بناءً على السياسات الواقعية، وليس الاعتقادات الباطنية؛ إذ بوسع كل طرف أن يعتقد بقلبه ما يشاء.

مما قاله رفسنجاني في سياق نقه لسب الصحابة قوله:

«في اعتقادى هذا إثم كبير، ونحن كمسلمين أصبح عدنا ملياراً وسبعمائة مليون نسمة، ونشكل ما يقارب 60 دولة إسلامية

نستطيع أن نكون أكبر قوة مؤثرة في العالم إذا استطعنا أن نكون اتحاداً إسلامياً حقيقياً، مضيفاً أن «من أهم أسباب ضعفنا اليوم كمسلمين هو الخلاف والتفرقة الطائفية الموجودة بيننا، ولهذه أصبحت الدول الإسلامية ضعيفة وتابعة للدول الغربية وتواجه الضربات القاسية من كل مكان».

من جانب آخر، يمكن القول: إن ردود فعل التيار المحافظ على تصريحات رفسنجاني وهجومهم الواضح عليه إنما تعبّر عن خلاف جوهري، ليس فيما يتعلق بسب الصحابة، لأن رموز التيار المذكور لا يتوقفون عن إطلاق التصريحات الوحدوية التي ترفض سب الصحابة، لكن المصيبة هي في ممارستهم العملية، وخاصة في سوريا التي لم يعد سراً أن الخلاف حولها كبير بين التياريين، وقد كشف عن ذلك وليد المعلم في تصريحاته لصحيفة «الأخبار» التابعة لحزب الله، والتي شكر فيها مواقف المرشد والحرس الثوري، بينما انتقد بوضوح من سماهم أصحاب «النهج الليبرالي».

إن تصريحات رفسنجاني، وأيّ حديث عن إعادة النظر في مواقف إيران في المنطقة، وخاصة من الغالبية السنّية لا يعبر عن صدقة أو إحسان، بل هو يعبر عن رؤية لتحقيق مصالح إيران قبل أي شيء آخر، لاسيما أنها تخوض معركة عبّية ضد غالبية الأمة، وتدمّر التعايش في عموم المنطقة.

إنها تستنزف مقدراتها من دون أي أفق بالانتصار، فيما تستنزف الأمة جمّعاء لصالح الكيان الصهيوني الذي يدعى المحافظون أنهم يمثلون تياراً يقف ضده، بينما هم يخدمونه من الناحية العملية، وكانت خدمتهم الأكبر في سوريا التي حولوها إلى ثقب أسود يستنزف الجميع، بينما عطل مسيرة الربيع العربي التي كانت تحمل آفاقاً كبيرة للأمة على صعيد الشعوب، وعلى صعيد المواجهة مع الكيان الصهيوني والهيمنة الغربية.

لذلك كله، تستحق تصريحات رفسنجاني الكثير من الترحيب، لاسيما أن شعب إيران ليس عدواً للأمة، وهو جزء منها ويريد بدوره أن يعيش كريماً بعيداً عن الركض خلف مشاريع وهمية لا يمكن أن تنجح بأي حال.

العرب

المصادر: